ديوان يحيى بن زياد الحارثي (١٦٩هـ)

تحقيق يونس أحمد السامرائي

تعقيب واستدراك

عبدالرازق عبدالحميد حويزي

كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – جمهورية مصر العربية

"يحيى بن زياد بن الحارثي" أديب من أدباء القرن الثاني الهجري ، لمع نجمه في سماء نظم الشعر، ومعالجة كتابة النثر الأدبي ، نشأ في الكوفة ، وتوفي عام (١٦٩هـ) تقريباً.

كان ديوانه الشعري متداولاً بين الأدباء ومشهوراً لدى النقاد ، وأصحاب المؤلفات الأدبية ، فقد نقل "البحتري ت ٢٧٦هـ" كثيراً من مقطعاته في حماسته ، ومما يفصح عن الموهبة الندية التي تمتع بها "يحيى بن زياد" في سماء الإبداع الشعري تصريح "النديم ت ٣٨٥هـ" في كتابه الفهرست ص ٢٣٠ بأن ديوانه كان يبلغ سبعين ورقة .

ويبدو أن أيادي الإهمال عبثت بهذا الديوان فضيعته ، وأنشبت أظفارها في قصائده فمزقتها كل ممزق ، ومن ثم لم يبق لنا سن شعر صاحبه سوى طائفة من المقطعات والنتف الشعرية والأبيات المفردة اليتيمة ، يقف عليها القارئ مبددة في مصادر التراث العربي المختلفة .

وقد تحمل "يونس أحمد السامرائي" – جزاه الله خيراً– أعباء جمع ما تفرق من شعر "يحيى بن زياد" ورسائله ، ونشرَ ما جمع مرتين ، وقعت النشرة الأولى في الجزء الثالث من كتاب "شعراء عباسيون" – عالم الكتب –ط١ –بيروت : ومكتبة النهضة العربية ، ١٩٩٠م ، واحتل البحث الصفحات ٩– ١٠٠، ووقعت الثانية في مجلة المورد العراقية العريقة سنة ١٩٩٤م – المجلد ٢ ، العدد الأول ص٤٩–٥٦ ، والعدد الثاني ص٥٦–٦٣ .

وطالعت النشرتين وطابقت المحتوى الشعري في النشرة الثانية عليه في النشرة الأولى فلم أجد أدنى اختلاف ، أو زيادة ، في عدد المقطعات ، أو الأبيات ، أو الشرح ، أو التخريج مما يصح لنا أن نصف النشرة الثانية بأنها ترديد حرفي أمين لما ورد في النشرة الأولى التي وردت في كتاب "شعراء عباسيون" .

وعندما قمت بمطابقة المحتوى الشعري في النشرتين على المصادر الأدبية والتاريخية بدتْ لي طائفة من الملحوظات على المجمع الشعري، سأرصدها هنا إسهاماً مني في خدمة تراثنا العربي الذي نستمد منه عظمة ماضينا، وعدة حاضرنا ، وأمل مستقبلنا المشرق ، وتطلعاً من جانبي إلى تنقية هذا المجموع مما ضم من شعر مختلط ؛ ليتسنى للباحثين والدارسين في ميدان الدراسات الأدبية أن يتناولوه بالدراسة والتحليل متجنبين ما سأفصح عنه في السطور التالية ، ومن ثم تأتي نتائجهم سليمة ، وأحكامهم سديدة ، لأنها حينئذ تكون مؤسسة على أساس سليم .

أما الحصيلة التي جمعها "يونس السامرائي" من شعر "يحيى بن زياد" فقد أفصح عنها في ص٤٠ من الكتاب المشار إليه آنفاً في قوله : "إن ما تَجَمَّع لدينا من شعره لم يكن كثيراً، ولولا مختارات البحتري له في حماسته لما أثر له على شيء يعتد به في مجال الدراسة والبحث والتحقيق . فقد تيسر لنا الوقوف على ثمان وخمسين مقطوعة له ، تتراوح بين البيت وسبعة الأبيات، ولم يتسن العثور على قصيدة واحدة . تقع هذه المقطوعات جميعاً في (١٥٦) مائة وستة وخمسين بيتاً ، واختلط بعض ما جمعناه من شعره بشعر سواه من معاصريه : كمطيع بن إياس ، وصالح بن عبدالقدوس ، وأخيه محمد بن زياد الحارثي" .

وملحوظاتي على مجموع شعر "يحيى بن زياد" متنوعة، حدا بي تنوعها إلى أن أوزعها على عناصر مختلفة، ثم أبدأ في معالجة كل عنصر على حدة محاولاً في ذالك سد الثلمات الظاهرة في تحقيق هذا المجموع الشعري؛ رغبة في الوصول به إلى درجة تقترب من الكمال – لأن الكمال المطلق لله – سبحانه وتعالى – وحده، ومن ثم يقبل الباحث على دراسة شعر "يحيى بن زياد" وهو مطمئن إلى أن ما فيه من شعر إنما هو صحيح النسبة إليه حقاً، ومن ثم تأتي نتائجه صحيحة، وأحكامه النقدية على شاعرية الرجل ، ومكانته الأدبية سديدة، وهذه العناصر هي:

أولاً : ما يلزم إخراجه من الصحيح من مجموع شعر "يحيى بن زياد" .

ثانياً : ما أُخِلَّ به مجموع شعر"يحيى بن زياد" .

ثالثاً : رصد ما لم يرصد من روايات الأبيات.

رابعاً : استقصاء مصادر تخريج القصائد والمقطوعات الشعرية.

خامساً : ملحوظات أخرى .

تلك هي العناصر التي سأتحرك في إطارها، وسأتناول كل عنصر من هذه العناصر محاولاً تقويم مناده، وأبدأ بالعنصر الأول، وهو:

أولا : ما يلزم إخراجه من الصحيح من شعر "يحيى بن زياد":

بذل المحقق جهداً مشكوراً في جمع وتحقيق شعر "يحيى بن زياد"، وعلى الرغم من جهده هذا لم تسلم محاولته في هذا النطاق من الملحوظات، حيث نسب بعض المقطعات " ليحيى بن زياد"، ثبتَ لديّ بعدما طالعت كل ما احتوى عليه المجموع الشعري، وقمتُ بإرجاع ما به من شعر على كثير من مصادر التراث العربي أن المحقق أدرج (٥) مقطعات شعرية في المجموع الشعري لـ "يحيى ابن زياد"، هذه المقطعات ليست خالصة النسبة إليه دون أن ينبسَ إزاء إحداها ببنتِ شفة تفيدُ بأن هناك اختلافاً حاصلاً في نسبتها.

وهاهي ذي المقطعات ، سردتها هنا، وذكرت قبل كل مُقَطَّعة رقمَها، ورقم صفحتِها في المجموع الشعري المنشور في كتاب "شعراء عباسيون"، ثم أعدت تحقيقها من جديد مضيفاً إليها ما عثرتُ عليه مِمَّا لم يرد في المجموع الشعري من زياداتٍ في الروايات، والتخريجات، ونصصت على اسم الشاعر، أو الشعراء الذين نُسِبَتْ إليهم ليأخذ دارسُ شعرِه حذرَه منها كي تكونَ دراستُه قائمة على أسسٍ متينة؛ ومن ثم تأتي نتائجُه على النتاج الشعري للشاعر سليمة.

وهناك حقيقة ينبغي ألا تغيب عن أذهان الدارسين ، مفادها أن هذه المقطعات ليست صالحة لدراسة شعر "يحيى بن زياد" إلا إذا ثبت فعلاً أنها خالصة النسبة إليه.

(١)

المقطعة رقم (١) ص٥١ ، وتقع في خمسة أبيات هي : [من الطويل]